Yamtara-Wala Journal of Arts, Management and Social Sciences (YAJAMSS)
Volume 8 Issue 1 June, 2026

دراسة أدبية في رثاء الشيخ شريف حسن جده للشاعر آدم يونس الهوساري

الدكتورة راوضة أحمد ميكاسوا[1] وعبد الله بللو[2]

Department of Arabic Studies, Faculty of Arts, Nasarawa State University, Keffi[1]
طالب على مستوى الدكتوراه للجامعة ويوجد نصراوا، كيفية[2]
Email: ahmadraudatu@gmail.com

المستخلص:
تهدف هذه الدراسة المعنونة بـ"دراسة أدبية في رثاء الشيخ شريف حسن جده للشاعر آدم يونس الهوساري" إلى إبراز شخصية الشاعر آدم يونس الهوساري، مع الإشارة إلى انتاجاته العلمية والأدبية، ودراسة إحدى قصائده في الرثاء، من خلال استعراء بناءها من المطلع وحسن التخلص وجودة المقطع.
والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي والوصفي، وأدرك الباحث أن الشاعر آدم يونس الهوساري من الشخصيات البارزة في مجال الشعر المحلي، وأن قصائده تتمتع بالبناء الشعري من حيث المطلع وحسن التخلص والمقطع، لذلك يتجه النصح للباحثين بالبحث عن قصائد الشاعر آدم يونس ودراستها دراسة أدبية.

©Nigerian Army University Biu

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبد الله صلواة ربي والسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإن الشاعر آدم يونس الهوساري من أبرز الشخصيات التي ساهمت في تطور شعر الرثاء بمدينة ميدغري، فإن مراثيه الهامة فائيته التي قرضها في رثاء الشيخ شريف حسن جده، فهي قصيدة رائعة، تتمتع بالبناء الشعري من حيث المطلع وحسن التخلص والمقطع، فلذلك وقع اختيار الباحث على هذه القصيدة تحت عنوان " دراسة أدبية في رثاء الشيخ شريف جده للشاعر آدم يونس الهوساري".

وتتكون هذه الدراسة من خلال النقاط التالية:

1. المستخلص.
2. المقدمة.
3. نبذة وجيزة عن حياة الشاعر.
4. مطلع القصيدة.
5. حسن تخلص القصيدة.
6. مقطع القصيدة.
7. ثم الخاتمة النتائج المراجع والمصادر

نبذة وجيزة عن حياة الشاعر آدم يونس الهوساري:

نسبه ومولد ونشأته وحياته العلمية

أ. نسبه :

هو آدم بن يونس بن عيسى الهوساري الميدغري التجاني، أخٌ لِلشيخ عيسى "مَيْ عشرينية" وابن عمة السيد صالح الهوساري. وأمه رقية بنت عيسى المولودة في ميد غري[i].

ب. مولده ونشأته :

ولد الشاعر آدم يونس الهوساري في شهر صفر، سنة ١٤٠١ ه - ١٩٨٠ م في ميدغري، بحارة هوساري إحدى حارات مدينة ميدغري، نشأ وترعرع في بيت والده مالم يونس عيسى التجاني أحد تلاميذ الشيخ أبا غوني ، نشأ نشأة إسلامية ، وتربى تربية حسنة في كنف والده الذي اعتنى به منذ نعومة أظفاره، ورعاه رعاية جيدة، فكان منذ صغره متدينا ومجتهدا، ومعروفا بالأدب، ومحبا للعلم ومجالسه، فكان يضرب المثل في طاعة للوالدين، فإن نشأة هذا الشاعر لا تختلف عن نشأة أبناء العلماء المهتون بتربية أبنائهم.

ج . حياته العلمية :

لما بلغ السابعة من عمره ألحقه والده بمعهد الشيخ أحمد أبي الفتح الإبتدائي، وحصل على الشهادة الإبتدائية عام ١٩٩٤ م، واصل تعلمه بكلية محمد غوني للشريعة والقانون والدراسات الإسلامية بميدغري، حيث نال الشهادة الثانوية عام ٢٠٠٠ م، ثم التحق بقسم الدبلوم في نفس السنة حيث تخرج فيها عام ٢٠٠٣ م، ثم واصل تعلمه بجامعة ميدغري قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية وتحصل على شهادة الليسانس في عام ٢٠٠٨ م. وبعد ذلك وصل دراسة الماجستير في نفس الجامعة قسم اللغة العربية من سنة ٢٠١٤إلى سنة ٢٠١٧ م.

وأما جانب الحلقات درس عددا من الكتب العربية والإسلا مية. منها:

كتاب عقائد التوحيد، والأحضري، والعشماوي، والمقدمة العزية، ورسالة أبي زيد القيرواني، ومصباح السالك في الفقه، وتعليم المتعلم، وروح الأدب في الآداب، والأربعين النووية، وبلوغ المرام، ورياض الصالحين في الحديث، وهداية المستفيد في التجويد.[ii]

ومنها كتب لغوية:

النحو الواضح، وجزء من ألفية ابن مالك، والبلاغة الواضحة، وميزان الذهب في العروض، وجزء من مقامات الحريري .

شيوخه وإنتاجاته الأدبية

د : شيوخه

تتلمذ عن أخيه الشيخ عيسى صاحب العشرينية وأخذ عنه العلوم، كما أخذ عن مالم آدم الخياط، ومالم إبراهيم المِنْتشِكَوي، ومالم أحمد كوكو في ولاية كبي، والشيخ زكريا، ومالم صالح بردي، والمعلم خامس البوتسكم، ومالم بابَيُو، والشيخ عثمان كسفا زاريا، والشيخ محمد سعاد نغَمْدو، والشيخ إبراهيم أبا غوني، والشيخ بلّو صاحب الديوان وغيرهم.

ه : إنتاجاته :

١. منجدة في نظم المرشدة " :منظومة في علم التجويد."

٢. نيل المنى في الدعاء بأسماء الله الحسنى " :أدعية مختارة من الكتاب والسنة وأدعية الصالحين المناسبة بأسماء الله الحسنى."

٣ . الدرة البيضاء في مدح خير الأنبياء.

٤ . القصائد العربية في مختلف الموضوعات :الشعر العربي، تزيد على سبعين قصيدة وأكثر من ألف بيت.

٥ . القصائد الهوساوية في مدح الرسول والصحابة والأولياء.[iii]

شاعرية آدم يونس وأسلوبه

بدأ الشاعر قرض الشعر في السادسة والعشرين من عمره، إذ أنه ولد في عام ١٩٨٠م ، وبدأ قريحته بإنتاج بناء أفكاره في سنة ٢٠١٦ م. وكان في ذلك الوقت طالبا بجامعة ميدغري يدرس اللغة العربية، وأما أول قصيدة قالها الشاعر فهي ميميته التي كتبها في وصف قرية اللغة العربية إنغالا ولاية برنو، لها خمسون بيتاً. قرضها أثناء دراسته في القرية، وهو في السنة الثالثة في مستوى الليساس، ومطلعها:

فَبِسْمِكَ يَا رَحْمَانُ أَرْحَمُ رَاحِمٍ وَحَمْدٍ وَشُكْرٍ يَا إِلَهَ العَوَالِمِ

صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى مَنْ أحبهُ مُحَمَّدُنَا وَالصَّحْبِ أَهْلُ المَكَارَمِ

وقال فيها يعاتب الحكومة:

©Nigerian Army University Biu

لِمَاذَا بَـنَـوْا فِي الـغَـابِ دَارَ عُلومِـنَا ثُعَايِشُـنَا فِي الـدَّارِ بَـعْـضُ الـبَهائِـم؟

فَهَلْ لُغَةُ المختارِ لَـيْـسَتْ مُـرادَهُـمْ فَحُـبِّي لَهَا فَـوْقَ الـدُّنَى وَالـدَّرَاهِـمِ

ورغم أن الشاعر يعتبر هذه القصيدة أول إنتاجاته الشعرية، فقد قام ببعض المحاولات قبيل سفره إلى القرية حيث أنه كتب قصيدة لامية يتغزّل فيها بفتاة تسمّى خديجة، مطلعها:

خَدِيجَةُ تِلْكَ البِنْتِ تُحْسن حَالَها وَإِنْ نَّطُقَتْ نطقاً يُنَاسِبُ فِعَالَهَا

لم يعتبر الشاعر هذه القصيدة أول قصيدة له لأنها لم تستقم إلا بعد تكلّف، وقد وقع في قوافيها في عيوب الشعر، أولا ظنّ أن هاء الوصل في القصيدة هي الرويّ، فلما أراها أستاذه صالح بَرَدِ نبّهه إلى ذلك، فصححها، واختار اللام رويا لها، وأراه مرة ثانية، فإذا هو واقع في الإيطاء، فصححه أيضا وبذلك استقامة القصيدة. وعلاوة على هذا فإنّ القصيدة لم تكن مطبوعة ولا منشورة آن ذاك. وفي قرية اللغة العربية انغالا فاز صاحبنا بموهبة شعرية أتاحت له فرصة ليضع قدمه اليمنى في هذا المجال الواسع، فجادت قريحته بشعر لا يستهان به، فأجاد وأكثر، والآن تربو قصائده على مائة قصيدة، يجاوز عدد أبياتها ثلاثة آلاف بيت.

كان آدم يونس شاعرا مكثرا منذ بدايته قرضَ الشعر، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن قصيدته الأولى؛ الميمية المذكورة قبل قليل، كتب عشرين بيتا منها في موقف واحد، ولم يتوقف من كتابتها حتى وصل إلى خمسين بيتا. وقد طرق الشاعر أكثر أغراض الشعر العربي القديمة من مدح ورثاء ووصف وغيرها لكن أكثر شعره في المديح النبوي، وقد مدح شيوخه ورثى بعضهم. وقد تناول من أغراض الشعر العربي النيجيري الدعاء والإبتهال والتوسّل والزهد والشكوى والتهاني وشعر المناسبات وشعر الوطن.

وأما الأوزان التي يستعملها آدم يونس في أشعاره فهي الأوزان الشعرية التقليدية التي وضعها الشيخ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت. ١٧٤هـ) فقد استعمل البحر الطويل والبسيط والوافر ومجزوئه والكامل والهزج والرجز والرمل والخفيف ومجزوءه والسريع والمتقارب.

أسلوبه

لم يسلك أدم يونس منهج القدماء في افتتاح القصيدة بالبكاء على الأطلال وذكر النساء والأحبة، بل كان يفتتح قصائده بالخوض في الموضوع مباشرة أحيانا، وطورا بالحكم، وتارة أخرى بتعليل نفسه عن همومه وأحزانه، وعن مفقوده، ثم يدخل في موضوعه، ويختم قصائده بالدعاء والتوسّل والصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، أو بالصلاة والسلام فقط. قلّما تجد قصيدة من قصائده غير مختومة بالصلاة على النبي ﷺ على نمط الشعراء المتصوفين كالشيخ إبراهيم انياس، وشرف الدين البوصيري أو أصحاب المنظومات الإسلامية والعربية كالقرطبي وابن مالك، ولا غرو إذا كانت خواتم أشعاره كذلك، فهو صوفي ومقدّم في الطريقة التجانية ومن مريدي الشيخ أحمد أبي الفتح اليرواوي ومن قرّاء دواوين الشيخ إبراهيم انياس الذي كان فحلا كبيراً في قرض الشعر العربي والإسلامي، وهذا الأسلوب هو أسلوبه في دواوينه الستّ وأكثر أشعاره.

موضوع القصيدة:

بمناسبة وفاة السيّد الكريم الشيخ الشريف جِدّه بتاريخ٣١/ ٦/ ٢٠٢٤م أنشأ الشاعر هذه القصيد وقدمها لأهل الفقيد ليشرطهم الترح، ويؤدي سنة التعزية، ٠١/ ٧/ ٢٠٢٤ م.

بناء القصيدة:

لقد أشار النقاد قديما إلى هيكل البنائي للقصيدة، وتحدثوا عن العناصر الثلاثة في بناء القصيدة العربية، وهي المطلع والتخلص ثم الخاتمة، كما أنهم قد أكثروا الكلام عن الوحدة العضوية (الوحدة الموضوعية) إذ أنهم يرون أن الشاعر الحاذق الذي يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة فإنها المواقف التي تستعطف أسماء الحضور، وتستميلهم إلى الإصغاء".[iv]

ولذا اشترط النقاد في المطلع أن يكون دالا على موضوع القصيدة، وغرض الشاعر من نظمها، دون أن يكون في ذلك تصريح مباشر، لقد أحسن الشاعر آدم يونس الهوساري في ذلك .

عنوان القصيدة:

العنوان " مقطع" لغوي من الجملة نصا أو عملا فنيا. ويعد العنوان عنصرا مهما لاتخلو منه النصوص الشعرية، غير أنه ليس مجرد إضافة شكلية فارغة من المدلول، وإنما أصبح بشكل واحد من مفاتيح النص الشعري الذي يساعد على كشف مدلولاته، واستكشاف أسراره، مما جعله في رؤية الدارسين عتبة النص باعتباره المفتاح الأهم لمقاربته، غير أن ذلك لايعني أن العناوين تتساوى في فاعليتها، إذ أن ثمة تفاوتا بينها في هذا السياق، فإذا كان دور بعضها يقتصر على الإشارة إلى موضوع النص فحسب، فإن هناك عناوين تتسم بقدرتها على تكشيف دلالة النتص، كما أن هناك من العناوين مايشكل عنصرا في تأويل النصوص، إذ يصبح الوصول إلى دلالة نص ما مرتبطابه[v].

والعنوان لغة من قولهم: عن يعن عننا وعنوانا: ظهر أمامك، وعن يعن عنا وعنوانا: واعتن، ظهر واعترض، وعن الكتاب، يعنه عنا، وعننه، كعنونه، وعنونته، بمعنى واحد، مشتق من المعنى، وسمي عنوانا لأنه يعن الكتاب من ناحيته. وبهذا التعريف يدرك أن العنوان ظهور واعتراض: لأن الظهور هو الذي يمرئي العنوان يجعله قابلا للرؤية، عن منحه سمة مكانية أو قضائية وبذلك يغدو متميزا مختلفا عما حوله.[vi]

©Nigerian Army University Biu

وأما دلالة الإعتراض فإنها تتعلق بالمتلقي على أساس أن " العنوان هو ما ظهر له ويعترضه من العمل " فالعنوان هو الذي يعطي فرصة اللقاء الأول بين النص والمتلقى[vii].

وسيحاول الباحث أن يبرز الآلية التي استخدمها الشاعر في استنباط عنوانه، وأن يكشفها بحيث يتبين ما إذاكان استنباط العنوان أخذ عدة أشكال أو عكس ذلك. فإن استنباط العنوان قد يكون استنباطا معجميا، وهو على نوعين: الاستنباط المعجمي الصريح الذي هو المستخرج من النص مباشرة، " وهو ذلك المأخوذ من النص الذي ورد فيه بالتركيب نفسه دون تغيير، وهو يقدم نفسه كغيره على أنه مفتاح تأويلي يسعى إلى ربط القارئ ينسج النص الداخلي والخارجي ربطا من العنوان الجسر الذي يمر به.[viii]

والإستنباط المعجمي المشتق، وهو : العنوان الوارد في النص مشتقا على نحو ما، وقديكون استنباط دلاليا، وهو أن يرتبط النص بدلالته ما تشكل رسالته إلى المتلقى، فإن العنوان الدلالي يقترح دلالة شاملة تتجاوز النص في محاولة تفتح باب القراء على مصراعية، وهو يعني أن هذه النصوص أكثر تعديدا وتنوعا وفنا من غيرها، أو هذا ما يحاول الشاعر دفعنا إليه[ix]. يعنون هذه القصيدة، لكن يلقب بـ "رثاء الشيخ شريف حسن جده"

حسن المطلع وحسن التخلص وحسن المقطع في القصيدة:

حسن مطلع في القصيدة:

والمطالع هي أوائل الوصول[x]. ويمكن القول بأن المطالع هي أوائل القصيدة، فالمطلع عبارة عما استهل الشاعر به القصيدة ، ويسمى "ابتداء".

ويقول ابن رشيق: فإن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ماعنده من أول وهلة.[xi]

والمطلع هو مايعرف عند كثير من الأدباء بابتداء القصيدة أو براعة الإستهلال، أوابتداء المتكلم كلامه بمعنى شعرا كان أونثرا. وهو ما يدل على المعنى المقصود من ذلك الكلام، فإن كان مدحا فمدحا، وإن كان رثاء فرثاء، أو كان فخرا ففخرا. وفائدته أن يعرف من مبدء الكلام قصد المتكلم وغايته.

ومن مختارات المطالع الجيدة ما اختاره ابن رشيق نحو قول امرئ القيس:

* فقانبك من ذكرى حبيب ومنزل *[xii]

وهو عندهم أفضل الإبتداء عند شاعر، لأنه وفق واستوقف وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد.

وكقول النابغة :

كليني لهم ياأميمة ناصب ** وليل أقاسيه بطيئ الكواكب

وقوله:

كتمت ليلا بالجمومين ساهرا ** وهمنين هما مستكنا وظاهرا[xiii]

هذا بعض ما اختر للقدماء.. وما اختير لهم في الرثاء قول قوس بن حجر:

أيتها النفس أجملي جزعا ** إن الذي تحذرين قد وقفا[xiv]

ومما اختر للمحدثين قول بشار بن برد:

" أبي طلل بالجزع أن يتكلما "[xv]

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث، وقول أبي نواس:

لمن دمن تزداد طيب نسيم ** على طول ماأقوت وحسن رسوم[xvi]

وقوله:

رسم الكرى بين الجفوف محيل** عفي عليه بكى عليك طوي[xvii]ل

وقوله:

أعطتك ريحانها العقار ** وحان من ليلنا انسغار[xviii]

وقوله:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ** وداوني بالتي كانت هي الداء[xix]

وقد يمثل المطلع الجيد بمطلع أبي تمام في قصيدته عن فتح العمورية يقول في هذا المطلع:

السيف أصدق أنباء من الكتب ** في حده الحد بين الجد واللعب[xx]

فقد لخص مضمون القصيدة بهذا المطلع والابتداء الجيد، وأطلع القارئ في أول وهلة على أن قصيدته حربية وأطلعه أيضا بإيجاز شديد على قصة هذه الحرب التي لعب فيها المنجمون دورا سلبيا في تنبئهم بعدم فتح تلك المدينة، وعدم نصر المعتصم بالله، فقد تم فتحها وانتصر المعتصم بفتحها بحد سيفه انتصارا فصح المنجمين، وجعل حد السيف أصدق مما يجدونه في كتبهم من الأبيات الكاذبة.

ويعود الباحث الآن إلى مطالع قصائد الشاعر فيقول: إن الدراسة الدقيقة في مطالع قصائده لتظهر أن الشاعر لم يبن قصائده على النمط المعروف لدى الشعراء القدامى إذ لم يفتتح أيا من قصائده بالنسيب والغزل، أو بذكر الديار والبكاء على الأطلال، وخلاصة القول، أنه لم يتأثر بالافتتاح النسيبي في قصائده. ولعله يرى ذلك لايليق بموقفه الديني، فيلاحظ أن النمط الذي اتبعه الشاعر في افتتاح قصائده هو الدخول مباشرة في صميم الموضوع، فليتأمل القارئ مطالع القصائد الآتية:

قال في افتتاح رثاء السيد حسن شريف جده:

فوا لَـهْـفِي عَـلَى فَقْدِ الشَّرِيفِ وِلِـيِّ اللّـه سـيِّـدِنـا الـعَـرِيـفِ

فَوَا بَـلَـدي ومَـيْـدُغُـري وغـنْغي على ترحال عالِمِها الشّريف

أيا دَهْري عَضَضْتَ جَمِيعَ قَوْمي بِشَرِّ النَّاب ويْلَكَ مِنْ مُخِيف

تُخِيفُ القَوْمَ مِنْ أصْنافِ بَلْوَى فخَفِّفْ عَنِّيَ الْبَلْوَي مُضِيفِي

©Nigerian Army University Biu

سَنَبْكِي ما حَيِينا الشَّيْخَ جِدَّهْ ولا نَنْساهُ في حَضْرٍ ورِيفِ

يلاحظ القارئ في المطلع السابق دخول الشاعر مباشرة في صميم الموضوع من غير مقدمة، فمثل هذه المطالع بمجرد سماعها تلقى في الروع أن القصائد تحتوي على معان تمت إلى الرثاء، وإضافة إلى ذلك إن المطالع ملائمة للمضامين، وموحية لما يستقبل من المعاني، بل وقد استوفت فيها شروط المطالع الجيدة، من سهولة الألفاظ أو فجامة العبارة، ووضوح المعنى المتصل بالموضوع، فعلى هذا يحكم بمثل هذه القصائد بأنها حظيت بما يسمى ببراعة الاستهلال[xxi] أو حسن الإبداع على تعبير النقاد[xxii].

هذه بعض نماذج المطالع القصائد عند الشاعر آدم يونس فيكفي الباحث بهذا القدر فالراجع إلى القصائد يلاحظ أن جلها على هذا النمط السابق.

الشاعر استهل رثاءه بالتلهف على فقد الفقيد الشريف حسن جده، وذلك قوله (فوا لهفي على فقد الشريف) هذه جملة تشعر بالحزن والأسى، وتدل على وقوع المكروف والمصيبة، ليدل على ما هو بصدده من الرثاء، ثم تابع بالتحسر على ما أصاب بلده ميدغري وحارة الفقيد وهي (غُنْغِي) بسبب وفاة هذا العالم الشريف، بل ذكر أن هذه المصيبة عمّت جميع الناس لما يتوقع وقوعه من صنوف البلوى، يعني كثرة الجهل، لأن كل عالم يموت يذهب معه علم كثر، وهذا بلاء عظيم، جعل هذا كله توطئة لما يقصده من رثاء الفقيد، وهذا أحسن هذا المطلع.

حسن التخلص في القصيدة:

ويأتي بعد المطلع في البنية الشعرية التخلص والخروج وهو الجزء الأساسي الذي يحتوي على هيكل القصيدة ومضمونها، وصورته على حد أبن الأثير هي: " أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سببا إليه فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، ويستأنف كلاما آخر، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا[xxiii].

ومن الناس من يسمى الخروج تخلصا وتوسلا وينشدون أبياتا منها:

إذا ما اتقي الله الفت واطاعه ** فليس به بأس ولو كان من جرم
ولو أن جزما أطعموا شحم جفرة ** لباتوا بطانا يهرطون من الشحم[xxiv]

وأولى الشعر أن يسمى تخلصا ما تخلص فيه الشاعر من معنى آخر، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره. ثم رجع إلى ما كان فيه، كقول النابغة الذبياني آخر قصيدته اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر:

وكفكفت من عبرة فرددتها ** إلى النحر منها مسهيل ودامع
على حين عاتت المشيب على الصبا ** وقلت ألما أصح والشيب وازع[xxv]

ثم تخلص إلى الاعتذار وقال:

ولكن هما دون ذلك شاغل ** مكان الشغاف تبتغيه الأصابع
وعيد أبي قابوس في غير كنهه ** أتاني ودوني راكس فالضواجع[xxvi]

فيفهم من هذه العبارة أن التخلص يتمثل في الخروج من معنى إلى معنى مع إيجاد ربط وثيق بين المعنى السابق واللاحق، بحيث يكون السابق تمهيد إلى اللاحق، وأنه يحتاج في تمثيله إلى نوع من الأحكام والاتقان بحيث يكون الخروج من معنى إلى آخر من غير قطع الكلام واستئناف كلام آخر، بل يكون الكلام موصولا مع توفر ربط داخلي وثيق بين المعنيين (السابق واللاحق).

وقد عني المتاخرون من النقاد والأدباء بحسن التخلص، وليس كذلك الجاهلون والمخضرمون، إذ كانوا ينطلقون طفرة من النسيب إلى وصف الإبل ونحوها إلى غرضهم الأساسي لإنشاد القصيدة بقولهم،[xxvii] غالبا: " دع ذا " وعد عن ذا " مما يوحي صراحة بالانتقال من شيء إلى آخر، كقول زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان:

دع ذا وعد القول في هرم ** خير البداة وسيد الحضر[xxviii]

وقول حسان بن ثابت الأنصاري، رضي اللهعنه يمدح المصطفى ﷺ

فدع هذا ولكن من لطيف ** يؤرقني إذا ذهب العشاء[xxix]

وحسن التخلص يأتي على أوجه، فأحسن ما يأتي في بيت واحد وهذا كقول مسلم بن الوليد يمدح البراكمة:

أجدك ما تدرين أن رب ليلة ** كأن دجاها من قرونك ينشر
سريت بها حتى تجلت بغرة ** كغرة يحيي حين يذكر جعفر[xxx]

فما هذا حاله فقد فاق في حسن التخلص من الغزل إلى المديح، مع قصر الكلام وتقارب أطرفه، لما فيه من امداح المبالغة في مدح يحيي بالبر وجمعه فيه من المحاسن، وقد جاء في بيتين كقول أبي تمام:

تقول في قوس قومي وقد أخذت ** منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ** فقلت كلا ولكن مطلع الجود[xxxi]

فانظر إلى ما أبرزه من التخلص الرائع، والمخرج الفائق، وربما جاء في ثلاثة أبيات، ومثاله ما قاله أبونواس يمدح بني العباس:

وإذاجلست إلى المدام وشربها ** فاجعل حديثك كله في الكأس
وإذا نزعت عن الغواية فليكن ** لله وذاك النزع لاللناس
وإذا أردت مديح قوم لم تلم ** في مدحهم فامدح بني العباس[xxxii]

©Nigerian Army University Biu

يالله ! ما أرق كلامه وما أعجب ما جاء به من النسيب وحسن التخلص، فكأنما جاء به رحيق مفلفل أو نهر جاري سلسل.

وإذا تناول القارئ قصائد الشاعر بالفحص والنظرة الدقيقة يظهرله جليا أن شاعر قد أحسن التخلص وأجاده في معظم قصائده، حيث يراه يتخلص من المطالع إلى المضامين بلطف ورقة، كما يحكم الربط والتوثيق بين المعاني السابقة واللاحقة، وخير مثال على ذلك قصيدته التالية التي استهلها بذكر الموت ووصفه بأنه بلاء، ولا سيما عند ما ينزل على أناس أجلاء فيكون فقداتهم بفتح الطريق للغافلين ليتعظوا، وإن الموت سيف جاد قاطع لامحالة منه، والكل سيذوق مرارته عند نزع الروح، صرح الشاعر باسم فقيده لينتقل إلى موضوعه الرئيسي من حيث لا يشعر القاري حيث قال:

سَنَبْكِي ما حَيِينا الشَّيْخَ جِدَّهْ ولا نَنْساهُ في حَضْرٍ وريفِ

ثم ربط بين ما مضى وبين ما يأتي استفهام يجعلهما كشيء واحد فقال:

ولِمْ لا حَازَ أَخْلَاقَ الْكِرَام وأَفْنَى الْعُمْرَ في نَصْرِ الْحَنِيفِ

مُحِبُّ الخَيْرِ فَاعِلُه صَبُورٌ مُزِيلُ مَجَاعَةٍ ساقي الْأُلُوف

أَخُو إِصْلاحِ ذاتِ الْبَيْنِ هادٍ وجَامِعُ ما تَشَتَّتَ في الصُّفُوفِ

خَطِيبُ الْقَوْم ناصحُهُمْ مُرَبٍّ أُنِيلَ الْخَيْرَ مِن كلِّ الصُّنوف

يُكَرِّمُ زائِريه متى أَتَوْه يَلِينُ لهمْ فلمْ يَكُ كالْعَنِيفِ[xxxiii]

أنظر حسن التخلصه في هذه القصيدة حيث لم يدخل في الموضوع مباشرة بدون ربط، ولم يجعل كلامه مبتورا، بل ساعدته مهارته الفنية إلى هذا السلوك، وتجد الملاءمة والمناسبة بين الأبيات التي تخلص بها إلى الغرض الأساسي في القصيدة، وبين ما يريد، وهو رثاء السيد شريف حسن جده.

ومن بديع ما جاء في الاقتصاب قول البحتري يمتدح الفتح بن خاقان بعد انخساف الجسر به في قصيدته التي مطلعها:

متى لاح برق أوبدا طلل قفر ** جرى مستهل لا بكيء ولانزر[xxxiv]

فيكتفي الباحث بهذا القدر من نماذج ما واقق (حسن التخلص) فبهذه النماذج يظهر للقارئ أن نمطه في هذا على نوع واحد وهو ما يوافق حسن التخلص ، والملاحظة هنا أن الشاعر لم يكن من نمطه الإبيداء بالمقدمة الدعائية ثم الإعلان بالموضوع والدخول فيه، ولم تكن أيضا من نمطه الإستهلال بصميم الموضوع مباشرة.

حسن المقطع في القصيدة:

المقطع هو آخر ما يقرع السمع أو آخر مايتعلق بالفعل مما اختتم به الشاعر قصيدته بحيث لا يحتاج السامع أو القارئ إلى شيء بعده، فإن أجاد الشاعر ذلك سمي(حسن الإنقطاع)[xxxv].

إذاكان المطلع مفتاح الشعر ومدخله، كان من الأجدر الأخيرة التي يضعها الشاعر في بناء قصيدته، فينبغي للشاعر أن يحسنها ويجودها، لأن الخاتمة أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن الكلام، وإن قبحت قبح الكلام، "والأعمال بخواتيمها" كما قال الرسول الله ﷺ[xxxvi].

وقد أشار النقاد إلى إحكامها وتجويد السبك فيها لكونها قاعدة القصيدة، وآخر مايبقى منها في سماع، فلايستحسن الزيادة عليها كما لا يستحسن أن يأتي الشاعر بعدها بأحسن منها. ويذكر ابن رشيق " وقد كره الحذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء، لأنه من أهل الضعف، إلاالملوك فإنهم يشتهون ذلك[xxxvii].

أرى إن كانوا يجوزون ذلك في مدح الملوك فمدح العلماء والصالحين أولى بهذا النوع من الخاتمة لما فيها من المعاني الروحية التي تصور شدة تعلق الشعراء الصوفيين بشخصية شيوخهم الجليلة فيها.

وإضافة إلى ذلك يقول ابن النويري في تعريفه لحسن المقطع:

" فهو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا لتبقى لذته في الأسماع "، كقول أبي تمام:

أبقيت بني الأصفر المصفر كالسمهم ** صفر الوجوه وجلت أوجه العرب[xxxviii]

وكقول المتنبي:

وأعطيت الذي لم يعط خلق ** عليك صلاة ربك والسلام[xxxix]

إذن حسن المقطع وجودته هو مراعاة آخر البيت أو القصيدة، ولم يكن أقل شأنا من مرعات جودة الإبتداء في القصيدة، ولذلك إهتم البلغاء أن ينهوا كلامهم بأبلغ لفظ وأجمل معنى، واهتموا بأن يكونوا آخر بيت في القصيدة أجود بيت فيها.

وإن المتتبع لشعراء الرثاء والمديح النبوي عبر العصور يجده حافلا بخاصية إختتام القصائد بمعنى من معاني الدعاء والاستغاثة، والإمام البوصيري خير دليل على ذلك في مثل قوله:

يارب بالصطفى بلغ مقاصدنا ** واغفر لنا ما مضى ياواسع الكرم

واغفر إله لكل المسلمين بما ** يتلوه في المسجد الأقصى وفي الحرم

إلى أن قال:

أبياتها قد اتت ستين مع مائة ** فرج بها كربنا ياواسع الكرم[xl]

©Nigerian Army University Biu

وإذا التفت القارئ إلى شعر آدم يونس الهوساري يجده كذلك قد صبغ بهذا اللون الإختتامي لقصائد السادة الصوفية، ويبدو أن كل معظم قصائده تقريبا تختتم بهذا الشكل من توسل واستغاثة ودعاء وصلاة وتسليم على رسول البشرية وأصحابه وآل بيته الكرام، وفي هذا الصدد يلجأ الشاعر إلى الإستخدام اللطف والرقة في أسلوبه، حيث يستخدم لغة سهلة، عاطفية فتأمل مقاطع القصائد الآتية:

يقول الشاعر في مقطع قصيدة له يرثي بها السيد شريف حسن جده:

صـلاةُ اللّـهِ يَـرْدُفُـها سَـلام على الهادِي تَضيئ بِلا خُسوف

مَـعَ الأصْـحـاب والآل الـكـرام بـهـا نِـلْـنَـا الـرِّضاءَ مَعَ القُطُوفِ

لقد أجاد الشاعر آدم يونس في مقطع القصيدة حيث اختتمها بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ليناسب الختم المبدأ، فقد ابتدأ القصيدة بالتهلف وذكر البلاء والمصيبة فناسب ختمه بالصلاة والسلام على رسول الله عليه وسلم، لإشعاره بالرجوع إلى الله تعالى، وهو موقف المومن بالله في حالة الشدة والمصيبة.

وخلاصة القول، إن الشاعر آدم يونس قد اتبع الشعراء النيجيريين في منهج إختتام القصائد بمعنى من معاني الدعاء والاستغاثة، كالثناء على الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، والتوسل به وغيرها من المعاني، وهي ظاهرة تكاد تطغى على معظم أشعار شعراء النيجيريين بصفة عامة كما يشير إليها الباحثين.

الخاتمة

قد تناول هذا البحث نبذة وجيزة للشاعر آدم يونس الهوساري مما تبرز شخصيته التي تتمتع بعبقرية فائقة، ومع سرد شيء من إنتاجاته الأدبية، التي من ضمنها هذه المرثية التي بين يدي القارئ، ذات البناء القوي، اكتفى الباحث بالدراسة الأدبية التحليلية في مرثية السيد شريف حسن جده، حيث أشار الباحث إلى مطلع القصيدة وحسن التخلص والمقطع، مع ذكر ترجمة الشاعر.

النتائج:

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

- توصل الباحث إلى أن هذه الشخصية من أبرز الشخصيات التي ساهمت في تزويد الثقافة العربية في منطقة برنو المعاصرة.
- وأدرك الباحث أن الشاعر آدم يونس يتمتع بشعرية فياضة، وموهبة فتاقة، حيث كتب قصائد كثيرة في شتى الأغراض منها فن الرثاء.
- وأن قصيدته الفائية في رثاء شريف حسن جده قوية البناء من حيث المطلع وحسن التخلص والمقطع.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الحديث النبوي
- ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد، **جامع الأصول من أحاديث رسول الله ﷺ، ملتقى أهل الحديث**، المكتبة الشاملة الإصدار الأخير، 2019م.
- أحمد بدر (الدكتور): **أصول البحث العلمي ومناهجه**، وكالة المطبوعات، الطبعة السادسة، دون تاريخ
- الجوهري، إسماعيل بن حماد: **الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، سنة 1990م.
- خديجة أبوبكر مختار، **مراث قيلت في المرحوم الشيخ أبوبكر المسكين دراسة أدبية تحليلية**، بحث مقدم إلى كلية الدراسات العليا، قسم الدراسات العربية جامعة ولاية - كيفي، لنيل شهادة الماجستير، في اللغة العربية وآدابها، عام ٢٠١٨م.
- خلوصي صفاء، **فن التقطيع الشعري والقافية**، مطابع دار الكتب بيروت، 1974م.
- ابن رشيق: **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الأولى، 2019م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **مقايس اللغة**، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1978م.
- ابن منظور ، العلامة بن مكرم، **لسان العرب**، دار الصادر، للطباعة والنشر، بيروت، 1955م.
- أبو الروس أيمن (الدكتور): **كيف تكتب بحثا ناجحا؟** دار الطلائع، الطبعة الأولى، سنة 2001م.
- ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، **الصناعتين الكتابة والشعر**، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، سنة 1999م.
- ابو هلال أحمد هنداوي (الدكتور)، **فنون بديعةتحليل وتطبيق**، مكتبة وهبة، ط/٨، ٢٠٢٢م.

البحوث الأكاديمية

- إسحاق صالح سليمان (الدكتور)، **شعر الشباب في شمال شرقي نيجيريا**، دراسة تحليلية نقدية. رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا، قسم الدراسات العربية، جامعة ولاية نصروا - كيفي، لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ونقده. عام ٢٠١٥/٢٠١٦ م.
- السيد أحمد الهاشمي: **ميزان الذهب في صناعة شعر العربي**، دار بن حزم، الطبعة الأولى، سنة 1997م.
- العلوي، يحيي بن حمزة(الإمام)، **الطراز**، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت لبنان، سنة ٢٠٠٨م.
- عبد الله غوني تجاني الكانمي: **أدب الرحلة عند الشيخ المسكين**، بحث قدم للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية بجامعة بايرو، إبريل عام 2006م.
- عبد الله صالح (الدكتور): **مناهج البحث المعاصرة**، مجلة جامعة دمشق المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، سنة 2002م. - عبد العزيز بنوي (الدكتور) وسالم عباس خداده (الدكتور): **العروض التعليمي**، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الثالثة، سنة 1421هـ 2000م.

©Nigerian Army University Biu

- علي يونس، **نظرة جديدة في موسيقي الشعرالعربي،** الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993م.
- مصطفى السقا، **مختارات الشعر الجاهلي،** مكتبة دار الفكر، سنة ١٩٧٨م.
- ماهر عبد الباري (الدك-تور)، **التذوق الأدبي،** ط/١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ينة ٢٠٠٩م،
- المطري، محمد بن فلاح: **القواعد العروضية، وأحكام القافية العربية،** مكتبة أهل الأثر، البعة الأولى، سنة 2004م.
- مهدي، محمد الشريف: **معجم مصطلحات علم الشعر العربي،** الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 2004م.
- النقر، الطيب كاتب صحفي بالإنتباهة السودانية **اللفظ والمعنى في الشعر العربي،** صحيفة دنيا الوطن، تاريخ النشر 29/ 09/ 2014م.
- الهاشمي، السيد أحمد: **جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب،** المكتبة التجارية الكبرى، سنة 1969م.
- الواصل، سعيد بن عبد الله (الأستاذ): **موسوعة العروض والقافية،** المكتبة العربية الثقافية، (د. ت)
http:// sooqukaz. Com موقع الأنترنت بتاريخ 10 /06/ 2024م
المحقق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت:.
12.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن مُحَمَّد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى:نحو 770هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

[i] مقابلة مع الشاعر في بيته، يوم الأربعاء، ٠١ / ٧ / ٢٠٢٤ م، في الساعة التاسعة ونصف صباحا

[ii] مقابلة مع الشاعر في بيته، يوم نفسه، والوقت، والساعة

[iii] مخطوطة بخط الشاعر، توجد في مكتبه

[iv] إبن رشيق، أبي الحسن العمد في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج/ ١، د/ ت، دار الطلائع للنشر، القاهرة

[v] نفس المرجع، ص: ٤٦

إسحاق صالح سليمان، (الدكتور)، شعر الشباب في شمال شرقي نيجيريا، دراسة تحليلية نقدية، رسالة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا، قسم الدراسات العربية جامعة ولاية نصروا - كيفي، لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ونقده، عام٢٠١٠/ ٢٠١٦ م، ص: ١٠١[vi]

مختار خديجة أبوبكر، مراثي قيلت في المرحوم الشيخ أبوبكر المسكين، دراسة أدبية تحليلية، بحث مقدم في كلية الدراسات العليا، قسم الدراسة العربية جامعة ولاية - كيفي، لنيل شهادة الماجستير، في اللغة العربية وآدابها، عام ٢٠١٨ م،ص: ٤٩[vii]

[viii] نفس المرجع، ص: ٧٨

[ix] نفس المرجع، ونفس الصفحة

إبن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد، جامع الأصول من أحاديث رسول ﷺ،ملتقى أهل الحديث، المكتبة الشاملة لإصدار الأخير[x]

[xi] نفس المرجع ونفس الصفحة

الأصبحاني ابو الفرج، الأغاني، دار الفكر، بيروت لبنان، ج/٣، د/ت، ص: ١٣٢[xii]

[xiii] نفس المرجع، ص: ١٤٨

[xiv] نفس الرجع، ص: ١٥٧

إبن رشيق، الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، المجلد ٢، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص: ١٢٧[xv]

[xvi] نفس المرجع، ص: ١٣٢

[xvii] نفس المرجع، ص: ١٣٨

إبن رشيق، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ، المرجع السابق، ص: ١٨٣ - ١٨٤[xviii]

[xix] نفس المرجع، ص: ١٨٩

[xx] نفس المرجع، ص: ١٩١

براءة الإستهلال: وهي أن يبدئ الأديب بما يدل على غرضه، فسميت بذلك لأن السامع أو القارئ يفهم الغرض أول الإستهلالي أي رفع الصوت فمن املتها الرائعة قول الشاعر في التهنئة: بشرى فقدأعز الإقبال ماوعد ** وكوكب المجد في الأفق العلى صمد

[xxi]

انظر هلال أحمد هنداوي(الدكتور)، فنون بديعة تحليل وتطبيق، مكتبة وهبة، ط/٨، ٢٠٢٠م، ص: ١٨٢[xxii]

ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد، المثل الساتر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،./١، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ج/١، ص: ٢٢٣[xxiii]

©Nigerian Army University Biu

فرهود حسن شاذلي،(الدكتور)، وآخرون، البلاغة والنقد للصف الثالث، ط/٣، الإدارة العامة للمناهج والبحوث والكتب، المملكة [xxiv]العربية السمودية، عام ١٨٩١ه، ص: ١٠٤

إبن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، ط/١، [xxv]بيروت، لبنان، عام ١٩٩٠م، ج/١، ص: ٢٣٤

[xxvi] إبن رشيق، العمدة ، المرجع السابق، ص: ١٩٧

العلوي يحيبين حمزة، (الإمام)، الطراز، ج/٣، المكتبة العصرية [xxvii]صيدا - بيروت، لبنان، سنة ٢٠٠٨م، ص: ١٠٣،

زهير، هو زهير بن أبي سلمى(ت نحو سنة ٥٣٠ - ٦٢٨)، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات، يعتبر من أشهر شعراء عصره، من مختارات الشعر الجاهلي شرح مصطفى السقا،ط/ ١، عام ١٩٧٣ م، [xxviii]ص: ٤٥

العلوي، يحيي بن حمزة، (الإمام)، الطراز، ج/٣، المكتبة العصرية، [xxix]صيدا - بيروت لبنان، سنة ٢٠٠٨م، ص: ١٠٣

[xxx] العلوي، المرجع السابق، ص: ١٠٣

[xxxi] العلوي، المرجع السابق، ص: ١٠٤

[xxxii] العلوي، المرجع السابق، ١٠٧

[xxxiii] مخطوط بخط الشاعر، توجد في مكتبه

ماهر شعبان عبد الباري، (الدكتور)، التذوق الأدبي، ط/١، دار [xxxiv]الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م، ص: ١٩٨

إبن رشيق، الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، [xxxv]دار الطلائع، القاهرة، ج/١، ٢٠٠٩،ص: ١٩٨

[xxxvi] نفس المرجع، ص: ١٩٩

[xxxvii] نفس المرجع، ص: ٢٠٠٢

مختار الشعر الجاهلي، شرح مصطفى السقا، ط/٣،سنة ١٩٧٣، [xxxviii]ص: ٩٣

مجموعة اللغة العربية، المعجم المفصل، ط/١، ج/١، دار الفكر، [xxxix]بيروت، لبنان، عام ١٩٧٨م، ص: ٢٠٥

[xl] البرد في مدح رسول، لإمام البوصيري، عام ١٩٧٨ م، ص: ١٠٤

©Nigerian Army University Biu